يروق البصر ويمتع النظر وينشط الحواس، أو يجعلنا نأسى لما تـؤول إليـه حـال الإنسان إذا خلع برد الشباب وآذنت شمسه بالمغيب..

ونحن واجدون كل ذلك في مقطعاته ذات البيت والبيتين ولعل أجمل معانيـه ما جاء في وصف غربته وترحاله واسمعه يقول:

أهكـذا أنـا بـاقي العمـر مغـترب ... ناء عن الأهل والأوطـان والسكن

لا تستقر جيـادي فـي معرسـها ... حتـى أروعهـا بالشـد والظعـن

أو قوله:

وقد أفردتني الحادثات فليس لـي ... أنيس، ولا فـي طـارق الخطب أعـوان

كـأني مـن غـير التراب نبت بـي ... البـلاد فمـالـي فـي البسـيطة أوطـان

أجـول كمـا جـالت قـذاة بمقلـة ... وأسرى وساري النجم في الأفق حيران

وإذا كنا نشتم في هذه الأبيات رائحة أبـي تمام فإننا بلا ريب نشتم فـي الأبيات التالية رائحة أبي فراس العبقة في خطابه للحمامة، مع الإحساس بالفارق بين الرجلين، فدمع أبي فراس غال في الحوادث، في حين يرخص (أسامة) دمعه، حتى كأنه (متمم بن نويرة) يبكي أخاه (مالكاً).

يقول أسامة:

وهـاج لـي الشـوق القديـم حمامـة ... علـى غصـن فـي غيضـة تـترنم

دعت شجوها محزونة لم تفـض لهـا ... دموع، ففاضت أدمعـي مزجهـا دم

فقلت لهـا: إن كنـت خنسـاء لوعـة ... ووجـدا فـإني فـي البكـاء متمـم

ونعجب للصدق الأدبي يتقطر من هذين البيتين:

نافقت دهري فوجهي ضـاحك جـذل ... طـلـق وقلبـي كئيـب مكمـد بـاكِ

وراحة القلب فـي الشكوى ولذتهـا ... لو أمكنت لا تساوي ذلـة الشاكي

ونتحول عن شعر الترحال والتجـوال لنمعن النظر فيما قالـه (أسامة) فـي الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب من معان حسان فنعجب لقوله:

مـالي رأيـت الثلـج عمـم شـيبه ... قلل الربا، فزهت بحسن بناتها